فمنها ما كان تأثيره شديداً ومنها ما كان عظيماً ومنها ما كان عظيماً جداً . وذكر تحت الاول الجيل متى وخصوصاً المرعظة على الجبل وكتابين من تأليف روسو اسم الواحد "الاعتراف" والآخر "اميل" ورواية "دافد كيرفيلد" لدكنس . وذكر تحت الثاني مؤلفاً لبركوت اسمهُ "فتح المكسيك" . وذكر تحت الثالث مؤلفاً لروسو اسمهُ "نوفل الويز" وكتاب "نوتردام دي باري" لهوجو وكتابي "نيدود" و"السحبوزيوم" لافلاطون والالياذه والادوسي لهوميروس . ويظهر مما قالهُ تولستوي ان مؤلفات روسو كان لها التأثير الاشد فيهِ وبلغ من تعلقهِ بهِ انهُ كان وهو ابن خمس عشرة سنة يعلق صورة روسو بعنقهِ بدلاً من الذخيرة الدينية وقال اني كنت اعبدهُ

حال المسلمين في العالمين

نقلاً عن مجلة المنار الاسلامي

تصفحنا الجزء الاخير من مجلة المنار فرأينا فيها مقالة موضوعها حال المسلمين في العالمين تستحق ان تكتب بالتبر ولا يليق باحد ان يغفل قراءتها لان كاتبها الفاضل السيد محمد رشيد رضا على مواقع الضعف واخلص النصح لقومهِ . فرأينا ان نقتطف منها الفقرات التالية عسى ان يطلع عليها مَن لا يطلع على المنار من الذين يقصدون بها بالذات قال : —

ان ارقى المسلمين في هذا العصر مسلمو تركيا ومصر والهند فهل تستطيع ان تقول ان احداً منهم ساوى شعباً من شعوب الملل المجاورة لهم ؟

قد انتقد من جسم الدولة العثمانية عدة شعوب نصرانية ما منهم شعب ألا وهو الآن ارقى من مسلمي هذه الدولة تركيا وعربها وكردها — أرقى منهم في الحكومة والمدنية . أرقى منهم في العلوم والفنون . أرقى منهم في الصنائع والاعمال . ارقى منهم في الآداب والاجتماع . وذلك ان تستغني عن ذلك كلهِ بان تقول انهم ارقى منهم في جميع شؤون الحياة وان تعجب فاعجب من هذا أن يكون النصارى الذين لا يزالون تحت سلطة هذه الدولة ارقى من مسلميها في جميع شؤون الحياة على انهم اقل منهم عدداً ومالاً وحقوقاً في مناصب الدولة . فماذا تقول اذا قابلت بين مسلمي تركيا ونصارى فرنسا والمانيا وانكلترا وسائر دول اوربا التي اصبحت مسيطرات على تركيا حتى في كثير من شؤونها الداخلية وقد كنَّ منذ قرنين او ثلاث قرون يرتعدن من مهابتها واخوف منها

ماذا فعل مسلمو مصر بعد الاشتغال بالتربية والتعليم على الطريقة الاوربية قرناً كاملاً .

انهُ لم يوجد فيهم فلاسفة ولا مخترعون ولا مكتشفون ولا محررون لشيء من العلوم بل لم تسمُ هممهم الى انشاء مدرسة كلية بل لا يكاد يوجد في عشرة آلاف الف منهم عشرة رجال مستقلين في الرأي والارادة لا يهابون في الحق حاكماً ولا يخافون فيهِ لائماً. قد خرج حكم بلادهم من ايديهم وهذه رقبتها تكاد تخرج ايضاً بما يتلك افراد الاجانب وشركاتهم من اطيانها في كل عام وما يتزون من اموالها في كل يوم . ولا نطيل في وصف حالهم فجرائدهم اليومية تغنينا عن ذلك بما تسهب فيهِ آنفاً بعد آن . فكيف يكون حكمنا عليهم اذا قسناهم بنصارى اوربا او وثنيي اليابان

وهؤلاء مسلمو الهند يعيشون بين امم من الوثنيين البوذيين والبراهمة ومن المجوس والافرنج وكانت لهم في تلك البلاد السيادة العليا في العلم والحكم قد امسوا وراء هذه الشعوب كلها في العلم والعمل والتربية والثروة فلم تسمُ هممهم لمسابقة من هم اكثر منهم عدداً كالهندوس، ولم يخجلوا ان يسبقهم من هم اقل منهم كالمجوس

حدثني سائح مسلم جال في بلاد الهند جولان مختبر قال رأيت المجوس ارقى شعوب الهند علماً وعملاً واخلاقاً وآداباً واكثرهم براً واحساناً لانفسهم ولجميع من يعيش معهم . رأيتهم في بعض البلاد قد زادت مدارسهم عن حاجتهم فكانوا يبنون المدارس لتعليم سائر الطوائف من المسلمين والوثنيين . سمعت خطيباً منهم يخطب في محفل حافل فأدهشني بسمو افكاره وسعة عرفانهِ. فقارنت بينهُ وبين شيخ مسلم سمعتهُ يخطب الناس في مجتمع عام في بومباي يشبه ميدان الازبكية في مصر وقد احدق بهِ الناس من جميع الملل والاجناس . فرأيت الفرق بين المسلم والمجوسي عظيماً . سمعت المسلم يذكر في خطابهِ من مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني عند الله تعالى انهُ اذا اختطف غراب عظماً من عظام الذبائح التي تذبح في مولد الشيخ عبد القادر فوقع منهُ في مقبرة للكفار فان الله تعالى يغفر لجميع من دفن فيها كرامة للشيخ . وسمعتهُ يذكر تلك الكرامة التي ذكرت في بعض كتب مناقبهِ وملخصها ان مريداً لهُ مات فحمل اهلهُ الشيخ على احيائهِ فطار في الجوّ ليدرك ملك الموت فيستعيد منهُ روح المريد فامتنع عليهِ ملك الموت قائلاً لا يمكن ان اعيد روحاً قبضتها باذن الله . لأباذن من الله فغضب الشيخ واجتذب الوعاء الذي اودع ملك الموت فيهِ الارواح التي قبضها في ذلك اليوم فوقعت وانكبت الارواح منها فطارت كل روح الى جسدها فحيي جميع من مات في ذلك اليوم كرامة للشيخ.

ولا فخراً على ذكر ما قيل في شكوى ملك لربهِ وما أجيب بهِ

السواد الاعظم من مسلمي الهند يسلمون بمثل هذه الاقوال ومن ينكرها منهم في نفسهِ لا ينكرها بلسانهِ وانما ينكر الاكثرون كل دعوة الى الاصلاح بالعلم الصحيح والتربية القويمة كما هاج

ارباب العمائم في عباي على خطيب المسجد ذي المنارات ان قال في خطبته " اخواننا الشيعة " وكادت تكون فتنة لولا عناية بعض العقلاء . وانهم ليبذلون في مولد الشيخ من النفقات ما لو بذلوه في تعميم التعليم لوفى به

في المند حركة اسلامية جديدة يرجى خيرها ولكنها ضعيفة المنة بطيئة السير لا يقارب اصحابها احداً من اهل الملل الاخرى في سعيهم وجدهم فماذا جرى للمسلمين . وما الذي دفع بهم من عليين الى اسفل سافلين

بيناً غير مرة ان بلاء المسلمين قد جاءهم من ناحية دينهم فشاره غرورهم بدينهم او ابتداعهم في دينهم او جهلهم بدينهم او لبسهم لدينهم كما يلبس الفرو مقلوباً . فيلوا كل داعية عرضها عليهم رؤساؤهم المفسدون بشكل ديني وان كانت ناكسة له على رأسه . او ناسفة له من اساسه . واعرضوا عن كل علم وعمل وخير ونعمة وفائدة لم يلونها لهم رؤساؤهم الجاهلون بلون ديني وان كانت من لباب الدين وصميم الدين او من سياج الدين الذي يتوقف عليه حفظ الدين او بقاء الدين . ولكن هؤلاء الذين قبلوا كل شر باسم الدين . وقد يرفضون كل خير بشبهة الدين قد خويت قلوبهم من الدين حتى لا تجد في الالوف منهم واحداً يحكم ما يعتقد من الدين في اهوائه وعاداته فالعادات والتقاليد المتبعة هي المحكمة دون ما يعتقد بالبرهان . او يعترف به لانه منصوص في القرآن

لا نطيل في شرح هذه المسألة ولا ندع التنزيل لها بما فعل المسلمون باساسيها الديني والدنيوي او الروحاني والجثماني — اساس الاسلام الروحاني توحيد الله تعالى واسلام الوجه اليه وحده لجميع العبادات انما شرعت للتذكير بهذا الاصل والامداد له والمحافظة عليه ومن معناه ان لا يلتمس الانسان شيئاً ما الا من الله تعالى اي من السنن العامة التي ربط بها الاسباب بالمسببات . ومن الشرك بالله ان يطلب الانسان شيئاً ما من غير مسببه العام المبذول من مقام الرحمة والاحسان لجميع الانام . فان جهل السبب او تعذر عليه توجه الى رحمة الله وحده لعله يهديه الى سبب آخر او يسهل له الحزن ويذلل له الصعب . ولكنك ترى جماهير المسلمين قد صاروا ابعد الامم عن استعراف سنن الله تعالى في خلقه والاعتماد عليها دون الاسباب الوهمية . وما يجلوه لبعض الناس من السلطة الالهية الغيبية . وبهذا صار غيرهم اقرب من جماهيرهم الى حقيقة التوحيد الخالص في الاعتقاد والعمل . وان كانوا هم اصحاب القول والدعوى

واساس الاسلام الدنيوي جعل امر المسلمين في حكومتهم شورى بينهم لا يستبد بها

الآحاد منهم كما يستبد الملوك والامراء في الحكم عادة ومن ثم اجمع الصحابة على ان الاسلام لا ملك فيهِ ولا سلطان لغير الله تعالى على اهلهِ وان احكامهُ شورى بين اولي الامر وهم اهل العلم بالمصلحة العامة والرأي الذين تحترمهم الامة وتثق بهم. وكان النبي صلى الله تعالى عليهِ وسلم يرجع الى رأيهم في زمنهِ في الشؤون الدنيويَّة تربية للمسلمين بالعمل على ما ارشد اليهِ الكتاب العزيز وكان خلفاؤهُ من بعدهِ يعملون برأيهم ايضاً . فهذا الاساس في القسم الدنيوي من الاسلام كالتوحيد في القسم الديني الروحاني منهُ فكما شرعت العبادات لتدعم التوحيد وتحفظ شرعت الاحكام المدنيَّة والقضائيَّة وفوض غير المنصوص منها الى جماعة أولي الامر لتدعم الشورى التي هي اساس الحكم الاسلامي . ولكن المسلمين قد فعلوا بهذا الاساس شرًّا مما فعلوا بالاساس الاول لان نزعات الوثنية التي زلزلت التوحيد لم تكن عامة بجميع المسلمين ولكن الرضى بحكم الافراد الاستبدادي وهدم ما بناهُ القرآن واجمع عليهِ الصحابة من حكم الشورى قد رضي بهِ جميع المسلمين في بلاد لم فيها سلطة الاَّ ما لا يخلو عنهُ الزمان من افراد يتكرون هذه السلطة بانفسهم دون ان يؤلفوا جمعيات لنقوضها . على ان الانكار باللسان لم يتيسر لهم في كل زمان . ولذلك اكتفوا بانكار القلب الذي مداهُ الوصول اضعف الايمان

اذا كانت آفة المسلمين من جهة دينهم قد جاءت من رؤسائهم — وكان افساد رؤساء الدنيا لم يتم الاَّ بمساعدة بعض رؤساء الدين وسكوت الآخرين — وكان طول الامد على هذا الافساد قد اضعف في نفوس المسلمين الاستعداد للاستقلال الذاتي — وكانت عزة الامم في هذا العصر رهينة بهذا الاستقلال — وكانت الملوك لا تترك استبدادها مختارة — وكانت الشعوب الاسلامية لم تسمُ للنهوض باكراه حكامهم على العدل والشورى كما نهضت الشعوب المسيحيَّة واحداً بعد آخر كما انبأنا تاريخ من فازوا في الماضي وكما نشاهد اليوم فيمن يستقبلون الفوز في روسيا — وكان الذي مكن لحكام المسلمين سلطان الاستبداد هو اعتقاد رعاياهم ان الدين يوجب طاعتهم على الاطلاق — وكان الحق المجمع عليهِ انهُ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق — اذا كان ما ذُكر كما ذُكر فالواجب على العلماء الاحرار في مثل المنذ ومصر ان يبينوا للملوك المسلمين ولسائر المسلمين الحق في ذلك ما دام في النفوس منزع — ان يطالبوا الملوك بالعدل والاصلاح في الارض بحكم الشورى فان لم يستجيبوا لهم فليستعينوا عليهم بالعامة والجرائد بعد ان يبينوا للعامة في الجرائد حكم الله في حكومة الاسلام والفرق بين الخليفة او السلطان او الامير المقيد بالشريعة والشورى المسئول لدى الامة في الدنيا وعند الله في الآخرة وبين الاله الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون